الفيلم المصري الثالث « جريمـــة في الحي الهادىء » لحسام الدين مصطفى الذي يتناول اغتيال اللورد موين في القاهرة لانه قال للحكومـة البريطانية ، على حد تعبير الفيلم « انت حكومة غلطانة علشان تشجعـــي الصهيونية وتقفي ضد العرب » ، انتقل بدوره من مغامرات الحب والشجاعة الى المغامرات البوليسية ٠

هذه النماذج من الافلام التيحشرت اسم فلسطين فيحكايات ميلودرامية ومغامرات بوليسية ، تعبر خير تعبير عن « الدور » الـــذي قامت به السينما العربية في تناولها للقضية الفلسطينية ، وعن نظرة هذه السينما للقضية ، في الـــوقت الذي كان العدو الصهيوني يجيّش كل طاقاته الاعلاميـــة ، بمافيها السينمـــا ، لاغراضه العنصرية والعدوانية ٠

هذا الواقع المرير لم يتغير كثيرا بعد قيام الثورة الفلسطينية عـــام ١٩٦٥ وبعد هزيمة ٦٧ ٠ فكما قام عام ٤٨ منتج « فتاة من فلسطين » باستغلال وقع الهزيمة على الشعب المصري ، ومنتج « ارض السلام » باستغلال المشاعـــر الوطنية بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، قام عدد من المنتجين التجار في سوريا ولبنان والاردن بشكل خاص ، باستغلال عاطفة الجماهير وحماسها للثورة الفلسطينية منذ قيامهاعام ١٩٦٥ ٠ فجرى انتاج مجموعة كبيرة من الافلام التي لا تحمل اي فكر سياسي سوى الفكر المتخلف الذي كان وراء انتاجها ، ولا تتضمن اي تحليل للواقع الفلسطيني ٠ ولم تقم هذه الافلام سوى بنسج الاحلام والاوهام حول العدو وحول العمل الفدائي، ونقلت صورة مشوهة وكاريكاتورية ومغلوطة عن الثورة ٠ وارتبطت هـــذه الافلام ، كما السينما التجارية العربية التقليدية ، بمفهوم شباك التذاكر و « الجمهور عاوز كده » وانفصلت تماما عن الواقع الموضوعي الذي استغلته بهدف تحقيق ارباح مادية على حساب الثورة فحسب ٠ وكان من الطبيعي أن تلقى هذه الافلام، على الاقل في البداية، اقبالا شديدا من جماهير عرفت طعم الهزيمة اكثـــر من مرة واعتادت على الخطب الحماسية والشعارات الرنانة ٠ غير ان بعض فصائل الثورة الفلسطينية التي ساهمت الى حد ما في هذه الافلام عبر المساعدات والتسهيلات التي وفرتها للمنتجين ، تداركت الامر وتشددت في السماح لهؤلاء بانتاج المزيد منها ٠

والى جانب هذه الافلام التجارية الضحلة ، جـــرى تحقيق بعض الافلام الروائية والتسجيلية التي تشكلعلامة مضيئة في تعاملالسينما العربية مع القضيةالفلسطينية٠ ومعظم هذه الافلام كان من انتاج القطاع العام في سورية والعراق ومصر والجزائر، وابرزها من الافلام الروائية الطويلة ، حسب تواريخ انتاجها ، « رجال تحت الشمس» لنبيل المالح ومحمد شاهين ومروان مؤذن، و « السكين »لخالد حماده، و «المخدوعون» لتوفيق صالح (والفيلمان الاخيران مأخوذان مـن روايتين للشهيد غسان كنفاني) ــ انتاج المؤسسة العامة للسينما السورية التي شاركت ايضا بانتاج فيلم« مائة وجه ليوم واحد » لكريستيان غازي ٠ و « سنعود » لمحمـــد سليم رياض (انتـــاج جزائري) و « اغنية على الممر » لعلي عبد الخالق (مصر) المأخوذ عـــن مسرحية بنفس الاسم لعلي سالم نقلها الى السينما ايضا في سورية المخـــرج امين البني تحت اسم « حتى الرجل الاخير » ٠ هذا الى جانب العديد من الافلام التسجيلية والتجريبية والوثائقية٠

ان ما يميز معظم هذه الافلام بشكل عاموعلى اختلاف مستوياتها واساليب تنفيذها، هو الوضوح الفكري والتحليل السياسي الواعي لابعـــاد القضية الفلسطينية ٠ ولقد حاول مخرجو هذه الافلام تقديم مضامين افلامهـــم بأشكال نقية متقدمة مما ساعدها على الوصول ايضا الى بعض التظاهـــرات السينمائية الدولية الهامة التي ساهمت بالتالي على نشرها والتعريف بها في الخارج ٠ وكان ذلـــك الى حد كبير أول خطوة